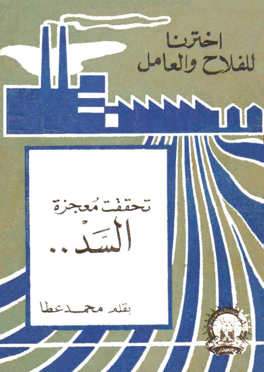

اخترنا
للفلاح والعامل
تحققت معجزة
السَّد..
بقلم محمد عطا

اخترنا
للفلاح
والعامل

تحققت معجزة

السد..

بقلم محمد عطا..



الإهداء

الى الأبطال الذين استشهدوا فى معركة السويس ... والى الأبطال الذين استشهدوا فى معركة السد اهدى هذا الكتاب .

محمد عطا



- ١ -

١٩٤٢

فى يناير عام ١٩٤٢ زرت منطقة أسوان مع بعض الصحاب، وأمضيت فيها أياما قصارا زرت فيها المعابد والآثار ، وعشت فى دنيا الفراعنة ، وفى المنطقة الحالمة الهامدة ، وكعـــادتى سجلت انطباعاتى عن هذه الرحلة ، وهأنذا أعود اليها الآن فأجدها تغنيا بماضى الآباء والأجداد .. واشادة بعبقريتهم الفنية وفتـــوحاتهم العسكرية التى سطرت أمجادها على معابدهم ، ووصفا لمقـــابرهم ودياناتهم ، وحديثا طويلا عن روعة الجو ، وسحر المناظر الطبيعية ولم يفتنى أن أستعرض حال غالبية الشعب هناك فقلت عنها مـــا نصه بالحرف الواحد :

« وعندما تهيأنا لركوب العربة فاجأنا جيش جرار من المصريين البائسين الذين قست عليهم الحياة وتحيفهم الزمن ، وشوهتهم الطبيعة من كل مبتور الساق ، ومعروق الجسد ومهزول الجسم ، ومسلوب الحياة ، فقلت : بالله !! الشعب المصرى هو الشعب المصرى فى كل حين وآن من عصر الفراعنة الى العصر الحديث ، فهذه المعابد الضخمة ، والهياكل العظيمة قامت على أكتاف الشعب

المسخر ، وهذه التماثيل الذهبية الرائعة لم تتهيأ وتكتمل الا بانتقاص عيشهم ، واهتصار دمائهم ، وحتى قامتهم .. ودمى أقدامهم .

وكذلك الآن وان لبست هذه العبودية المتباعدة ثوب المدنية الزائفة والحضارة المصنوعة والكلام المعسول ، فالخاصة أو المترفون يرفلون في المطارف ، وينعمون بالملاذ ، وينفقون في بطر . والشعب لاينال مايقيم الأود ، ويسك الدماء الا بشق النفس ، ولا يأوى الا الى كوخ حقير أشبه شيء بحظائر الحيوان ، ولا يلبس من الثياب الا كل ممزق مهلهل مما لايستر العورة ، ولا يخفى السوأة ، وطفقت مستغرقا في هذه الأفكار التي تهز المشاعر هزا عنيفا ، تعترك في نفسي أنواع المرارة وألوان الانفعال حتى وقفت العربة . (١)

ان أسوان في الماضي كانت تقترن في أذهاننا بالمعابدوالهياكل والتماثيل ، وبالشمس الساطعة ، والدفء اللذيذ في الشتاء ، وبالقيظ والحرارة الشديدة في الصيف كما أنها كانت تقترن في أذهاننا بالبؤس والفقر لسكانها ، وبأنها منفى للموظفين الذين ليست لهم وساطة أو المغضوب عليهم ، ولم يكن بها غير فندقين أو ثلاثة ، وكان يعيش أهلها على النزر اليسير من السائحين الذين يفدون عليها شتاء .

---

(١) مشعل الشباب للمؤلف ص٦٠ ، ص٦١ .

لقد كانت الحياة فيها فى منتهى القسوة ، ويثير أهلها فى النفس ألوانا من العطف والاشفاق والأسى .

انهم كانوا يمثلون الارادة المسلوبة المضيعة فهاجر الكثير منهم الى القاهرة والاسكندرية والوجه البحرى فرارا من شبح الفقر المخيم عليهم ، والارادة التى سلبتها القلة من الاقطاعيين الذين ينعمون بخيرات الأرض الواسعة ، والاستعماريين الذين حاولوا بكل الوسائل وشتى الأساليب الحيلولة دون تقدم هذا البلد ، وكلنا يعلم تلك المأساة التى تمثلت فى كهربة خزان أسوان فقد أحيط مشروع الكهربا بجو من التشكيك ، وراح الحزبيون يتقاذفون بالتهم حتى غط المشروع فى نوم عميق ولم ينفذ الا فى عهد الثورة العظيمة ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

-٢-

١٩٦٠

وزرت أسوان فى يناير ١٩٦٠ لأشهد مع المشاهدين حفل بدء العمل فى اقامة سد أسوان العالى ، واستمعت الى الرئيس جمال عبد الناصر وهو يخطب بل يهدر ممثلا الارادة الحية، العزم المصمم ، الروح العاتية . فتلاشت من ذاكرتى الصورة الداكنةالتى يلفها الضباب والسحاب عن هذه المنطقة ، وكنت أتابع حديثه بأنفاس متلاحقة لأنه يترجم عن مشاعرى ومشاعر كل مصرى بل كل عربى بل كل حى فى بلد نامية كانت مغلوبة على أمرها ثم استردت حريتها كاملة .

لقد كان الزعيم يتحدث حديث النصر ، فالسد العالى يمثل فى أذهاننا وخواطرنا معركتين ، معركة حربية فى السويس عام ١٩٥٦ ، ومعركة مع الطبيعة لتحويل مجرى النهر .

ولم نكن بعد قد شاهدنا المعركة الثانية بل كنا نتخيلها ، أما المعركة الأولى فهى التى شهدناها وهى التى دار أغلب حديثه حولها فقد اقترن باقامة المشروع بمؤامرة غربية حاكتها دول ثلاث ،

انجلترا وأمريكا وفرنسا ، مؤامرة لتعويقه والقضاء عليه حتى لا يرى النور وحتى نظل على تخلفنا وفقرنا . وحتى نظل نطلب المساعدة منهم ونعتمد عليهم ، مؤامرة دنيئة أملاها الحقد والأنانية والكراهية فى عصر ترتفع فيه الشعارات الانسانية ، شعارات التعايش السلمى والتعاون الدولى والاخاء الانسانى ، وعش ودع غيرك يعيش .

اننا لم نكن هازلين حين فكرنا فى هذا المشروع الضخم بل درسناه من جانبنا دراسة مستفيضة ، وزيادة فى الاحتياط استدعينا خبراء عالميين وعرضنا عليهم تفاصيل المشروع ، خبراء من سويسرا والولايات المتحدة وانجلترا فأقروا هذا العمل العظيم ، ولم تبق الا مشكلة التمويل نظرا لضخامة المشروع فانتهجت مصر النهج الطبيعى ، وتقدمت بطلب الى البنك الدولى فى نوفمبر ١٩٥٥ لمنحها قرضا يعينها على أقامة السد فوافقت الولايات المتحدة فى ١٩ ديسمبر من العام نفسه على الاسهام فى هذا القرض بما قيمته ٥٤ مليونا ، وبريطانيا بما قيمته ١٦ مليونا .

وفى يناير ١٩٥٦ وقع المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى مع الحكومة المصرية اتفاقا مبدئيا على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار بفائدة ٥ر٣ ٪ لمدة عشرين عاما .

وفى ١٨ يوليو أذاعت وزارة الخارجية الأمريكية بيانا يتضمن سحب عرضها المساهمة فى تمويل مشروع السد العالى قبل ابلاغه الى الحكومة المصرية رسميا ، ولم تكتف حكومة الولايات المتحدة بهذا التراجع بل أعلنت أن سحبها هذا التمويل انما كان نتيجة رفع مصر الميزانية المخصصة للدفاع مما يعرض سلامة اقتصادها للهزات . وأردفت قائلة : ان المشروع يتطلب موافقة الدول المنتفعة من ماء النيل .

وفى اليوم التالى أذاعت الحكومة البريطانية مثل هذا البيان ، وفى مساء اليوم نفسه أعلن مدير البنك الدولى عدم قدرة البنك على المضى فى تمويل المشروع بعد سحب كل من أمريكا وبريطانيا عرضيهما بالمساهمة فيه . واجتاحت مصر على أثر ذلك نوبة من الغضب ، وزاد اصرارها على المضى فى المشروع مهما يكلفها من تضحيات فالارادة الثورية لا تعرف التراجع ولا تحفل بالعقبات فهى ارادة مؤمنة متحركة ، حية نابضة .. ارادة أقوى من الفولاذ ، وأعتى من مد المحيطات ، وأثبت من الجبال الراسيات ، الارادة الثورية التى يمثلها بطلها جمال عبد الناصر فقد أعلن فى ٢٦ يوليو فى خطاب تاريخى قرار تأميم شركة قناة السويس حتى يمكن لمصر أن تجد الموارد لتمويل هذا المشروع الحيوى ، وكان هذا القرار ضربة أو لطمة زلزلت الغرب حتى فقد رشده وطار صوابه فأقدم على مغامرة السويس فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ بعد أن هدد وأوعد ولم يجد لتهديده أو وعيده

صدى الا الاصرار والعزم الذى تمثل فى هذه الجملة القوية من خطاب الرئيس « قل موتوا بغيظكم » .

وكانت مغامرة فاشلة أمام الارادة الثورية اذ تحطمت عـلى صخرتها الشماء ، وانتصر الحق على الباطل .. فالسد العـالى اذن رمز لارادة أمة وكفاح شعب كما عبر عن ذلك بحق الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى الذى ألقاه فى ٩ يناير سنه ١٩٦٠ فى أسوان حيث قال :

« أيها الاخوة :

هذا هو السد العالى الذى دارت من حوله المعارك ، وحارب من أجله الأبطال ، هذا هو السد العالى الذى شهد هذا الكفاح ، واستحق كل هذا الكفاح لاىسبب قيمته الذاتية فحسب بل لأنه أصبح كرمز لتصميم الأمة العربية كلها على أن تسير فى بناءوطنها الكبير المتحرر ..

ان الذين حاربوا أيها الاخوة ليحققوا الأمل ، والذين كافحوا ليحولوا الأمل الى حقيقة ، والذين لم يرهبهم النار والحـــديد لم يفعلوا ذلك كله لمجرد استخلاص مليون أو مليونى فـــدان من براثن الصحراء فحسب ، ولا لمجرد الحصول على عشرةملايين كيلووات من الكهرباء فحسب ، وانما فعلوا ذلك تحقيقا لارادتهم المستقلة التى انتزعوها من قبضة الطغيان والاحتلال والاستبداد والسيطرة » .

لقد كانت زيارتي الثانية اذن لأسوان تغاير في مدلولها كـل المغايرة للزيارة الأولى ، فالأولى كانت زيارة حالمة كنت أعيش فيها في الماضي في عصور البطالمة والفراعنة ، زيارة أثارت شـجوني وأحزاني للأوضاع الصعبة التي يعيش فيها أهلي واخواني أمـا الزيارة الثانية فقد كانت موضع اعتزازي وفخري ، كنت أشـعر فيها بالحرية والعزة والكرامة ، كنت في خلالها أرنو ببصري الى المستقبل العظيم الذي ينتظر هذه المنطقة فقلت حيث كتبت عنها « لقد بدأت الجمهورية العربية المتحدة عهداً جديداً رائعاً هـو عهد التصنيع ، وسيكون نقطة التحول ، وبدء انطلاقها الى حياة اجتماعية أفضل » [1] .

في هذه الزيارة لم نقتصر على حفل بدء العمل في مشروع السد العالي بل احتفلنا بالانتهاء من مشروع كهربة خزان أسوان هذا المشروع الذي ظل ترقبنا لهأعواما طوالا ، والذي كان لابد من انفاذه قبل الشروع في اقامة السد فهو الذي سيمد السـد بالكهربا الذي ينتج قوة كهربية بمعدل ٣٤٥ ألف كيلووات .. وافتتحنا كذلك مصانع « كيما » أكبر مصانع لانتاج السماد .

كنت في هذه الزيارة أشهد العمل الخلاق ، أعيش في عصر المعرفة والتصنيع أما في الزيارة الأولى فـكنت أشـهد الوزراء

(١) اخترنا للطالب ص٢ ـ السد العالي .

والمستوزرين والباشوات يقبعون فى فندق « ونتـر بالاس » أو (كتراكت) ينعمون بالشمس أو يهزلون أو يغطون فى نومهم أو يملئون بطونهم فما أبعد الفارق بين أمسنا وحـاضرنا !! الأمس الدابر الذى لن يعود ، والحاضر المشرق البسام الذى يعد الطريق لمرحلة الانطلاق العظيم .

- ٣ -

١٩٦٤

وأخيرا زرت أسوان زيارة خاطفة فى أواخر شهر أبريل من هذا العام فوجدت الحياة قد تغيرت فيها تغيرا جذريا ، القطارات والسيارات ، والطيارات الذاهبة والآيبة مزدحمة ازدحاما كبيرا ووجدت كل انسان فيها يعمل ، الحركة دائبة من أول أن تطأ قدمك هذا البلد الأمين الى أن تزايله بل ان وجه المدينة ومعالم الطرق قد تغيرت تغيرا كاملا ، فالفنادق فيها كثرت ، والطرقات فيها قد عبدت ، ولا نكاد نجد فيها سيارة فارغة من الراكبين أو مكانا لمبيت .

ان أسوان اليوم لم تعد أسوان الأمس ، انها أصبحت اليوم مدينة صناعية حية فاذا جاوزتها الى مكان السد وهو يبعد عنها بحوالى سبعة كيلو مترات رأيت الطرقات المعبدة الواسعة تموج بالناس والسيارات الكبيرة والصغيرة ، وورش السيارات والمعدات . لقد زرت مكان السد بالليل فاذا الزيارة لا تنقطع ، والكل مشدوه مذهول لعبقرية الانسان وجبروته ، وصراعه مع الطبيعة التى كان فى الماضى يهابها ويخشاها ويعبدها خوفا من

ضراوتها ، ويقدم اليها القرابين أما اليوم فهو يلقاها وجهــا لوجه ويقاومها مقاومة عنيفة جبارة من أجل خيره وخير الانسانية . لقد كان انسان الماضي يحاول أن يفيد مما تقدمه اليه الطبيعة ويقتصر عند هذا الحد ، والطبيعة قد تغضب وقد تضن عليه . لقد كانت تتحكم فيه بل تذله وتخضعه أما اليوم فلم يعد هذا الانسان المفكر المتحرك المتحرر يرضى بالوضع الذى كان فيه جده . لقــد كان أجداده يتزلفون الى نهر النيل فى أنشودتهم التى كانوا يرددونها فيقولون :

« انى أعبدك يا من تخرج من باطن الأرض لتبعث الحياة فى مصر ، يا من تروى الحقول ، لقد خلقك الاله «رع» لتبعث الحياة فى الحيوان ، وتروى الصحراء البعيدة عن ميــاهك بالطل الذى يسقط من السماء . انه ابن الأرض البكر ، وهو الذى يقــدم لنا الحب ، وينشط الحركة فى المتاجر ، انه سيد الأسماك ، ومعين الطيور المائية على التحليق ، انه منتج القمح وخالق الشعير الذى نحتفل به فى المعابد .

هل النيل كسلان ؟ اذا كان كذلك جفت فروعه ، وعم البؤس الناس ، وغضبت الآلهة ، وهلكت الملايين .

هل النيل بخيل ؟ اذا حدث ذلك أقفرت البلاد وأجــدبت ، وبكى الرجال والأطفال ، انه على النقيض من ذلك كريم ســخى فالتربة خصبة خضراء ، والطعام وفر ، والابتسامة تعلو الشــفاه

انه جالب المعونات ، الغنى بالزاد ، الزاخر بالطيبات ، انه منتــج العشب للأغنام ، وهو الذى يقدم الأضحيات للآلهة ، وهو الذى يملأ القنوات التى تنتشر المزارع والقرى على ضفافها ، انه الذى يساعد على نمو الأشجار ، وابحار السفن ، وتصنيع الأحجار .

اذا تردد اسمك فى الأغانى فلكى تبعث فيها النشوة ، ويرقص الناس طربا حين تفد عليهم فاذا غبت عنهم عم البؤس والفساد .

انك أنت الذى تنشر الحق الذى يهواه النــاس على وجـه الأرض .

ومن الخطأ مقارنتك بالبحر الذى لا ينبت لنا القمح أو البقل فماؤك الذى ينبت لنا القمح أغلى بكثير من الذهب والفضة .

ان الأجيال من أبنائك يبتهجون بلقائك فينظمون فيك قصائد المدح .

يا اله الغنى ، يا من تزين الأرض ، يا من تذلل المسير للبواخر من أجل خدمة الانســـان ، يا من تبعث الأمل فى قلوب النســـاء اللائى يتمنين أن تهب لهن طفلا ، وتسرك رؤية الأجيال المتعاقبة .

حينما تقدم الى العاصمة تفوز بمائدة طيبة ، ويقــول الفقير « أريد أزهار اللوتس » ويقول الغنى « أريد كل شىء » فى حين يقول الأطفال « نريد كل ألوان الخضر » ولكن حينما ينسى النهر أن يهب لهم الطعام فان السرور يزايل المنازل ، ويحل الخــراب

بالأرض اننا نجد الاله التاسع لما أوجد من قوة فى ابنه الملك الذى يجعل المياه تفيض فى النيل العظيم(١) .

هــذه كانت نظرة أجــدادنا الى نهر النيل انهم يتملقــونه ويخشــون غضبته ، وفى الأســاطير أنهم كانوا يقدمون اليــه الضحايا من أجمل العرائس فى كل عام حتى لا يغضب عليهم بمائه وظل هذا الخوف يتملك أهل الوادى جيلا بعد جيل فهم يحتفلون بفيضانه ، واذا قل منسوب الفيضان فى عام من الأعوام ضجوا بالشكوى والدعاء حتى تنفرج الكربة ولا يطول شبح المجاعــة وقد كانوا على حق من هذا الجزع لأنه مورد رزقهم ، ومصدر حياتهم ، وكان هذا النهر أيضا مثار متاعبهم فى اكثر الأعــوام التى سخر فيها الفلاحون والعمال لتقوية الجسور والحيلولة دون اغراق الأرض من النهر الهائج العارم !! وما أكثر القــرى التى أغرقتها مياه الفيضان فشردت سكانها وانتزعت من أفواههم لقمة العيش ، وأضاعت جهودهم وشقاءهم أدراج الرياح .

لم أجد فى أسوان اليوم متعطل ولم يصادفنى فقير أو مسكين فالأبواب المغلقة قد فتحت على مصاريعها ، وسبل الرزق قــد انثالت على أهلها بل على غير أهلها ، والحركة فيها دائبة متصلة، فى المدينة وفى الطريق الى السد وفى السد العالى الذى يفوق فى

(١) عن النيل بمر بلادى ص٨٦ ، ٨٧ بتصرف .

ضخامته الهرم الأكبر سبع عشرة مرة ، الهرم الذى كانت تهولنا ضخامته ، ونقف أمامه خاشعين مذهولين معجبين ، حقا ان الهرم الأكبر بنى بالسواعد والقوى البشرية بأحجار غاية فى الضخامة وشقى فى اقامتــه كثير من المصريين ولعل بعضهم راح ضــحايا اقامته بهذا العلو الشاهق والاتساع العظيم ، ولكن المعتقد أنهم أقاموه فى أعوام طوال ، على أننـــا اذا تساءلنا لم بنى الهــرم الأكبر ، لأجبنا على الفور : من أجل رفاتى ملك وملــكة حتى يظلان على حالهما الى يوم البعث والنشور أى أنه أقيم لمصلحة ذاتية ، لمصلحة فردية ، أما الســد العالى فانه أقيم من أجــل رفاهية أمة بأسرها ، من أجل رفع مستوى معيشة شعب يتكاثر سنويا بما يقدر بنصف مليون نفس ، يعيش على ســتة ملايين فدان يؤلف ٥ر٣ فى المائة من مساحة مصر ، من أجل استقرار شــعب على مدى السنوات والأجيــال فاذا ضحينا فى اقامتــه ببعض الأرواح من الجنود المجهولين فان هذه الضحايا من أجل صحو أمة بأسرها ، وان هؤلاء الشهداء ضحوا بأرواحهم ليعيش غيرهم ويحيوا حياة سعيدة ، انهم عاشــوا أبطالا ، واستشهدوا أبطالا فاستحقوا تخليد الوطن لهم .

ان السد العالى أقمناه بسواعدنا وعقولنا وكفاحنا وعرقنــا ودمائنا ، وهو رمز للتعايش السلمى بين دولتين ، بين الاتحــاد السوفيتى وبين الجمهورية العربية المتحدة ، الاتحاد السوفيتى الذى قبلت حكومته مشكورة المساهمــة فى تمويل المشروع ،

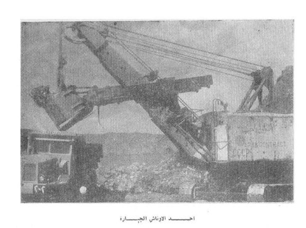
وتقديم المعونة الاقتصادية والفنية وعقد بينهما اتفاقان ، أولهما في ٢٧ ديسمبر ١٩٥٨ لأعمال المرحلة الأولى للمشروع والآخر في ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ لاتمام المشروع في وضعه النهائي ، اتفاقان كريمان غير مشروطين وعلى أساس من المساواة والاحترام الكامل للكرامة الوطنية وسيادة كل من البلدين كما ورد في الرسالتين المتبادلتين بين الزعيمين نيكيتا خروشوف وجمال عبدالناصر في يناير ١٩٦٠ بمناسبة اهداء الرئيس جمال عبدالناصر للزعيم السوفيتي ميدالية سد أسوان العالي الذهبية التذكارية اذ قال خروشوف :

« ليكن بناء سد أسوان رمزا للصداقة المتينة بين شعوب بلدينا ، وليكن هذا الجهد تمثالا للتعاون بين الشعوب من أجل الهدف القريب من قلب كل انسان وهو السلام » .

ورد عليه الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

« واني لأثق أن سد أسوان العالي سوف يبقى دائما رمزا للصداقة بين شعبينا كذلك اني أثق في أنه سيبقى دائما نموذجا حيا أمام جميع الشعوب المحبة للسلام كعمل رائع وايجابي من أجل السلام » .

على أن العمل لم يكد يبدأ في السد العالي حتى تعرض المشروع لحملات كثيرة مغرضة من التشكيك من جانب الغرب ولكنها لم تكن الا نباح الكلاب أو نقيق الضفادع فالعجلة دارت



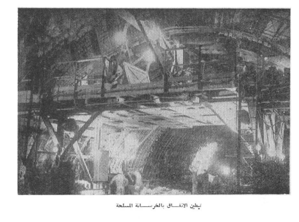
أحـــد الاوناش الجبـــارة

بمنتهى القوة والعزم ، وأخذ العمال والمهندسون يعملون ليــل نهار من غــير توقف لايمانهم بالعمل النبيل الخطــير ، ولأنهم دخلوا معركة فاصلة مع الطبيعة التى أشــبهها بالأم التى تربى أطفالها بالغريزة ، فالنهــر ينساب ويتدفق حسبما اتفق لا كمــا ينبغى أن يشق طريقه ، والانسان هو الذى يحاول اليوم تسييره فى المجرى الذى يفيد منه أقصى فائدة ، وهى عملية ضخمة ليست هينــة ولا يسيرة وخاصة اذا كان هــذا التغيير فى مكان ليس ببعيد عن منبع النهر ووسط صخور من الجرانيت بل جبال من الجرانيت ، ولأنهم يعلمون أن العالم يتطلع اليهم ، ويرقب نتائج أعمالهم ، وسطر التاريخ لهم صفحات من البطولة والمجد تزرى ببطولات القواد والفاتحين الذين يصلون الى أطماعهم على أشلاء الجثث الانسانية ، ويزحفون لا ليحققوا أهدافا سامية ولــكن ليكسبوا مجدا زائفا ، براقا موقوتا لا يلبث أن يخبو ، ليس هذا فحسب بل انهم يزهقون الأرواح ويقتلون الأطفال والنساء ، ويقيمون فى كل بيت مأتما ، الى أنهم يقــومون بأعمــال النهب والسلب وامتصاص الدماء .

ان بطولة العاملين فى السد العالى بطولة انسانيــة لأنها فى سبيل شرف الانسان وكرامته واعزازه ، فالعامل فيه يعيش بعيدا عن المدينة وما فيها من ألوان الترفيــه والراحة ، وبعيدا بعيــدا عن أهله ، بعيدا عن بيته وأسرته ، وهو يعمل فى ظروف قاسية، ويقوم بعمل مضن جبار ، وهو معرض فى كل لحظة للموت. فقد

ينهار عليه ركام من الصخر أو حجر ضخم من الجرانيت وقـد تنقلب عليه الخرامة الضخمة ، ويعمل فى الرمال المثارة التى تؤذى العين والأذن وتحت أشعة الشمس الحارقة ، انه يعمل وسـوط الزمن وراءه يلهبه ففى ١٥ مايو ينبغى أن ينتهى العمل فى تحـويل مجرى النهر والفراغ من الأنفاق الستة ، واقامة البوابات عليها، لقد شهدنا العمل فى الليل تحت الأنوار الكاشـفة ، وشرارات اللحام الزرقاء تومض بين لحظة وأخرى والسيارات الضخمـة تحمل الأحجار والصخور بعضها فى اثر بعض ، والصنادل تتلقى أحمالها وتسير بها الى جسم السد حيث تفرغ حمولتها ، العمل متواصل موقوت وكل عمل مترتب على الآخر ، وكل لحظة تمر تؤدى فيها عمل .

ان العاملين فى السد العالى يقدرون بحوالى ٣٤٫٠٠٠ عامل وهو عدد ضخم يتناسب وضخامة المشروع . فقناة تحويل مجرى النهـر يبلغ مكعبها حـوالى ٩ ملايين متر مكعب من الصخـور الجرانيتية وهى بمثابة رفع جبل من صخور الجرانيت مكعبــه أربعة ملايين ونصف متر مكعب واقامة هذا الجبل عبر النهـر ، أما الأنفاق الستة فيبلغ طول النفق الواحد منها ٢٥٠ مترا بقطر ١٥ مترا ، وفائدة هذه الأنفاق التحكم فى الميـاه اللازمة للرى بحسب الحاجـة ، وتشغيل محطة الكهربا ، وقـد أقيمت عليها بوابات حجمها ٢١٫١٤٠ طنا .



تبطين الانفـــاق بالخرســـانة المسلحة

وأنشئت محطة كبرى لتشغيل أعمال الخرسانات تعتبر الأولى من نوعهـا فى الشرق وبلغت تكاليفهـا حوالى ٤٠٠٠٠٠ جنيــه . وتنتج من الخرسانة فى الساعة الواحدة ما يقدر بحــوالى ٨٤ مترا مكعبا ، وقـد بنى بالأسمنت المســلح ما حجمه ٤٠٠ ألف متر مكعب .

ان أى كاتب مهما اوتى من بلاغـة ودقة وصف لا يستطيع بحال أن يعبر عن روعة العمل وضخامته ، انه عمل مذهل ، عمل جبار ضخم ، عمل كله صعاب ، عمل آلى ، عمل ذهنى ، عمـل جسدى ، عمل دقيق محكم ، عمل مخيف مهول ، عمل ظروفـه تختلف كل الاختلاف عن أى سد أقيم فى العالم ، فالخرامات مثلا التى أعدت لقطع الصخور لم تستطع تحطيم هذا الصخر الصلد الا بعد تحوير فيها وتعديل اشتركت فيه عبقرية العامل المصرى والمهندس المصرى ، والسيارات الضخمة كثيرا ما كانت تتوقف فيتوقف العمل كله ، واذا العامل المصرى يكشف عن سر توقفها ثم يحاول تغيير الجزء المعطل ويحل محله جزءا آخر يوافق طبيعة العمل والجـو فينجح ، وكثيرا ما كانت تنقلب الـكراكات أو الخرامات فتتحطم فيعمل المهندسون المصريون على اعادة الحياة اليها من جديد حتى لا يتوقف العمل .

هذه بعض الظروف والملابسات التى اقترنت بالعمل فى السد

العالى ، وانها لظروف حرجة صعبة . ولكن العبقـــرية المصرية لا تعرف الصعب ولا تؤمن بالمستحيل .

اننا مع هؤلاء العاملين بمشاعرنا وأرواحنا ، ويكفى أن ننوه ببطولتهم ، وأن نروى للأجيال القادمة طرفا من حياتهم ونضالهم وكفاحهم ، وأن نذكر لهم أن هؤلاء العاملين كانوا الرعيل الأول الذى أثبت للعالم أجمع جدارة العـــامل المصرى وقـــدرته على الأعمال الفنية الدقيقة ، وأنه فتح لنا عهدا جديدا وآفاق واسعة. وأنه آكد لنا أننا نعيش حقا فى عصر التصنيع ، هذا العصر المجيد الذى سيغير المجتمع المصرى تغييرا شاملا ، سـيغيره فى عاداته وتقاليده ، فى أسلوبه وسلوكه . ان عصر اللامبالاة قـــد انتهى وانقضى ولن يعود ، ان كلا منا سيشعر بالمسئولية الملقـــاة على عاتقه ، وان كلا منـــا ترس فى آلة ضخمة اذا توقف توقفت الآلة كلها عن المسير والدوران .

لقد كنا قبل هذا العصر نعيش فى مجتمع زراعى بدائى ، لم يتقدم كثيرا عن عصر أجدادنا الفراعنة ، مجتمع قبلى أو أقرب الى أن يكون كذلك ، مجتمع يسير وكأنه نائم أو وسنان ، مجتمـــع يعيش على الفتات ويكتفى بالنزر اليســـير ، مجتمع لا يعـــرف الطموح أو التوثب أو القفز ، مجتمع مرتبط بالأرض ارتبـــاط الطفل بأمه ، مجتمع يعيش لحاضره ولا يعمل لمستقبله ، مجتمع

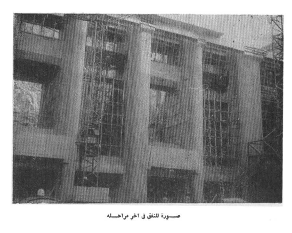
قابع منطو على نفسه ، مجتمع يعيش على الأحلام ويعتقد فى الأساطير .

لقد انتقلنا فى عصر السد نقلة أخرى فآمنا بالعلم والمعرفة والتخطيط والعمل والمسئولية الملقاة على عاتقنا لا نحو أنفسنا بل نحو الأجيال القادمة المتعاقبة .

ان السد أنجب لنا مدرسة نموذجية سيكون أفرادها الشرارات التى ستشع فى طول الوادى وعرضه ، والمثل التى يحتذى بها الكثيرون ، والنماذج البشرية التى تحرك عجلات المصانع ، والقوى الروحية التى تتدفق فتؤدى أعمال الجن والشياطين .

***

اذن فالثمار التى نجنيها من بناء مثل هذا السد العظيم ليست ثمارا مادية تقوم بالأرقام وتوزن بالموازين ، وانما هى ثمار روحية وهى أشهى من كل ثمار ، فالأرض التى ستستصلح وتزرع وتقدر بمليونى فدان لن تقتصر فائدتها على ما تنتج من زرع بل انها ستتجاوزها الى ما هو أخطر ، الى الاستقرار الذى سيسود البلاد ، الى القرى والمدن الجديدة التى ستنشأ ، الى القضاء على آفة الفقر وهى أخطر آفة تصيب مجتمعا من المجتمعات ، الى القضاء على البطالة والفراغ وهما مفسدة لأى انسان فيخلقان منه مجرما شريرا سيىء السيرة والسلوك ، الى



صورة للنفق فى اخر مراحله

القضاء على الأمراض والأدواء النفسية ، الى اقامة الأسر السعيدة ، الى نشر المحبة والتعايش بين السكان .

والكهربا التى سيمدنا بها هذا السد وتقدر بعشرة مليارات كيلو وات ساعة سنويا ليست فائدتها فى ادارة المصانع فحسب بل انها ستشع النور فى الميادين والطرقات والمساكن ، واذا الأمن يستتب ، والضوء النظيف ينير كل بيت فلا العيون تؤذى ولا الصدور تنقبض ، ولا الوجوه تعبس ، ولا الحياة تقطب .

واقامة هذا السد ستمحو من نفوسنا الخوف والجزع واللهفة ، الخوف الذى يسيطر علينا كلما قدم فيضان فاذا كان منسوبه عاليا تلاحقت أنفاسنا وأسرعنا الى الجسور نقويها ، وانها لجسور ممتدة طويلة ، واذا كان منسوبه منخفضا تولانا الفزع مما سيصيب البلاد من قحط ومجاعة وكوارث مالية لا يستهان بها .

كما أن ثبات المنسوب والتحكم فيه سيقوى من كهربة خزان أسوان التى تتأثر فى أوقات التحاريق وتهبط قوتها الدافعة ،وقد قدر الخبراء زيادة الطاقة الكهربية للخزان بما يعادل ضعفها الآن .

هذا الى ما سيوفره لنا من عملات صعبة نتيجة الاستغناء عن كثير من المواد المستوردة تقدر بحوالى مائة مليون جنيه سنويا .

وهذا يحرر اقتصادنا الى حد كبير .

وسيوفر لنا السد أيضا حوالى مليونى طن مازوت سنويا .

واذا كانت اقامة السد ستتكلفنا ما يقرب من أربعمائة مليون جنيه الا أن هذه التكلفة سيغطيها دخله فى ستة شهور . وسيضيف الى دخلنا القومى ماقيمته ٢٣٤ مليون جنيه سنويا أى ما يقارب نصف كل الدخل القومى الذى كان لمصر قبل الثورة .

ليس ذلك فحسب بل انه سيمكننا من توليد الكهربا من كل القناطر والخزانات المقامة على النيل ، وقد حدثنى أحد المهندسين المصريين أنه بعد توليد الكهربا من السد العالى ستصبح الجمهورية العربية المتحدة رابع دولة فى العالم من حيث الطاقة الكهربية المولدة .

فالنيل اذن على مر العصور هو واهب الحياة لنا ، وهو قلبنا النابض ، فى فجر التاريخ ، وفى العصر الوسيط ، وفى العصر الحديث ، فى العصور المظلمة وفى عصور المعرفة ، فى عصر البداية ، وفى عصر البخار ، وفى عصر الكهربا ، وفى عصر الذرة ، والفارق بينه فى الحالين ، أنه كان فى العصور السابقة على عصرنا شموسا حرونا أما اليوم فقد روضناه فأصبح وادعا ذلولا ، لم يعد الفرع الذى يراق على الأرض ، ولا الفرع الذى يجف فلا يدر بل أصبح الفرع الذى نحتلبه كلما أردنا فاذا هو يمدنا بالخير الوافر العميم .

- ٤ -

السد بالأرقام

ان دلالة الأرقام هي أقوى الدلالات ، وأعمقها أثرا في النفس اذ هي تقرب الصورة الى الأذهان بغير افتعال ، واذا كانت الأرقام ذات دلالة عميقة في غير المشروعات الهندسية فانها في الأعمال الهندسية العظيمة أكثر دلالة وأشد عمقا فقد تحدثنا فيما سبق عن وصف مجمل للسد وعلينا الآن أن ندخلك معنا في بعض التفصيلات التي لا تثقل عليك أو تدنيك من السأم والملل .

ان ارتفاع السد فوق قاع النهر سيبلغ ١١١ مترا وطوله ٣٦٠٠ متر ، وعرضه عند قاع النهر ٩٨٠ مترا وعند القمة ٣٠ مترا ويحتجز أمامه من المياه بعد اتمام السد ما يبلغ سعته ١٥٩ مليار متر مكعب في بحيرة صناعية هي ثانية البحيرات الصناعية في العالم بعد بحيرة كاريبا في روديسيا اذ سيكون طول بحيرة السد العالي ٥٠٠ كيلو متر ، وعرضها في المتوسط ١٠ كيلومترات وعمقها ٩٧ مترا .

ويتكون السد من ثلاثة أجزاء : السد الأمامي والسد الخلفي والسد الرئيسي والسدان الأولان جزء من السد الرئيسي .

وقد بدأ العمل في السد بحفر قناة تحويل مجرى النهر ، ويبلغ مكعبها حوالى ٩ ملايين متر مكعب من الصخور الجرانيتية، وفي وسط القناة حفرت ستة أنفاق أقيمت عليها بوابات حديدية ضخمة ، وكل نفق ركب عليه بوابتان فيما عدا النفقين الخامس والسادس فان لكل منهما أربع بوابات ، بوابتان في مقدمة النفق ، وأخريان تاليتان لهما احتياطيتان ، وزنة البوابة مائتا طن وهي مكونة من خمس وحدات كل وحدة تزن أربعين طنا ، وارتفاع البوابة عشرون مترا وعرضها خمسة أمتار ونصف ، وسمكها متر وعشرة سنتيمترات ، وتتحرك بالضغط على الأزرار الكهربية .

وستخرج المياه من ٢٤ فتحة في نهاية الأنفاق حيث أقيمت محطة الكهربا وعلى هذه الفتحات أقيمت بوابات أخرى .

أما محطة توليد الكهربا فسيبدأ انتاجها عام ١٩٦٧ وتزداد قوتها تدريجا الى أن تتم عام ١٩٧٠ وتتكون من ١٢ تربينة تقدر قيمتها الاجمالية بـ ٢ر١ مليون كيلو وات ، وتنتج طاقة كهربية تبلغ حوالى ١٠ مليارات كيلو وات ساعة سنويا .

ويعمل في السد ٣٤ ألف عامل نصفهم عمال مهرة والنصف الآخر عمال عاديون أما النصف الأول فلن يستغنى عنهم بما

إكتسبوا من خبرة وتجربة أما الآخرون فستكون لهم الأولوية فى تملك الأراضى التى ستستصلح نتيجة ريها بمياه السد العالى .

وستستخدم البحيرة الصناعية فى زيادة الثروة السمكية وفى الأغراض السياحية حيث تقام عليها الكازينوهات ، ويشق عبابها الزوارق الشراعية والبخارية فى الشتاء للاستمتاع بشمس أسوان الدافئة الساطعة .

هذا الى زراعة الأرض التى ينحسر عنها ماء البحيرة بضعة أشهر فى العام .

وستكون مياه النيل بعد اقامة السد العالى مياها رائقة ، قضية اللون ، واذا كنا سنحرم من الطمى الذى يحمله ماء النيل فاننا سنعوض ذلك بالسماد الذى ننتجه الآن بكميات هائلة .

كما أن اقامة السد سيؤدى الى الافادة من مليارات الأمتار المكعبة التى تقدر بنحو ٣٨ مليار متر مكعب التى تتدفق من النيل الى البحر المتوسط لتضيع فى لججه من غير أى نفع أو فائدة .

وفى ١٥ مايو ١٩٦٤ ستفيد من أربعة مليارات متر مكعب من الماء ، وفى عام ١٩٦٥ ستزيد المياه الى ٦ مليارات وفى عام ١٩٦٦ ستصل الى ثمانية مليارات .

- ٥ -

قصـــة المشروع

تبدأ قصة هذا المشروع عنـدما عرض المهندس اليـونانى المتمصر أوريان دانينوس على وزارة الأشغال عام ١٩٤٧م[١] فكرة اقامة سد آخر عند أسوان حتى لا تضيع مليارات ماء النيل فى البحر سدى ولــكن وزارة الأشـغال فى ذلك الوقت لم تقتنع بفكرته . وما أن قامت الثورة حتى تقدم ذلك المهندس بمشروعه الى قيادتها وبعد سبعة وعشرين يوما من قيام الثورة شـــكلت لجنة من ثلاثة خبراء مصريين هم الدكتور محمد أحمـــد سليم والدكتور السيد أحمد السمنى والمهندس حسن اسماعيل وناقشت اللجنة فكرة المهندس ثم وضعت تقريرها بعد أن عدلت الأرقام التى تقدم بها المهندس بالموافقة على مبدأ المشروع ، وبعرض هذا التقرير على وزارة الأشغال أجاب مهندسوها « بأن بحث المشروع على هذا الأساس جائز وممكن » .

ثم بدأ المشروع بعد ذلك ينال جدية من قادة الثورة فعين

---

(١) ان هذا لا يمنع ان فكرة المشروع وجدت عند المهندسين المصريين ولكنها لم ترق الى المناقشة الرسمية .

أول مهندس مقيم للمشروع هو المهندس أحمد سعيد ابراهيم ثم علم المهندس الألمانى شتاركر بالمشروع وكان يعمل بمشروع كهربة خزان أسوان فعرض على المسئولين القيام بدراسته على الطبيعة وتم له ذلك وبعد أن انتهى من أبحاثه قرر أن المشروع سليم ، وأنه مقتنع بجدية الأبحاث الجارية على أرض السد .

ثم أوفدت بعض الشركات الألمانية خبراء لدراسة المشروع فقرروا أيضا سلامة وامكان تنفيذه .

وفى ١٦ مايو ١٩٥٣ زار موقع السد العالى وكيل وزارة الأشغال الدكتور حسن زكى مع خبراء عالميين اثنين من أمريكا ، واثنين من السويد وثالث ايطالى وصحبهم الدكتور كنيت الأستاذ بجامعة الاسكندرية للاشراف على الدراسة الجولوجية وقد جاء فى تقرير هؤلاء الخبراء أن فكرة المشروع سليمة وتنفيذه ممكن . الموقع مناسب جدا .. النتائج المعلقة عليه أكيدة وليست فيها أية مبالغة .

على أن الخبراء لم يكونوا على علم بمدى القاع الصخرى فى مجرى النهر اذ كانوا يتوهمون أن العمق يبلغ ٥ أمتار فحسب ولكن شركة جوهان كيلر الألمانية حددته بحوالى ٢٢٠ مترا .

وظلت الأبحاث والدراسات سائرة فى طريقها مما كلفنا فى مدى عامين أربعة ملايين ونصف جنيه وكان لا بد من هذه

الدراسات فالمشروع ضخم وتكاليفه باهظة ، وأى خطأ فيه يكلفنا كثيرا بل قد يذهب بهيبتنا .

وفى ٧ ديسمبر ١٩٥٤ قدمت الى أسوان أول بعثة من خبراء البنك الدولى ، وقد عاينوا الأمكنة والمواقع وأخيرا أكدوا أن المشروع سليم ويمكن تمويله فى اطمئنان كامل .. وتتيجة لهذا التقرير وتقارير أخرى من بعثات موفدة من قبل البنك آخرها تقرير البعثة الثامنة التى زارت أسوان فى يناير ١٩٥٥ وكانت مهمتها تقدير المبالغ التى تلزم اقامة المشروع بعد أن أكدت التقارير الفنية السابقة سلامة المشروع ، وفى فبراير وافق البنك الدولى على اقراض مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتبدأ بها مصر تنفيذ المشروع .

ثم كانت القصة المثيرة التى صحبت سحب أمريكا وانجلترا عرضيهما للمساهمة فى المشروع والتى تحدثنا عنها فيما سبق ونضيف اليها أن الناطقين بلسان البنك الدولى « قد أزعجهم هذا التطور كل الانزعاج ، ولم يستطيعوا اخفاء وجهة نظرهم فى عدم وجود أى عامل جديد يدعو الى تغيير جدارة السد العالى بالعون أو قدرة مصر على تحويل حصتها فى تكاليفه »(١)

---

(١) من « الطريق الى السويس » تأليف ارسكين تشيلدرز ترجمة خيرى حماد ص١٤٧ .



العربة الضخمة تفرغ حمولتها آليا

١٥ مايو ١٩٦٤

ان يوم ١٥ مايو ١٩٦٤ يمثل ذكرى نصر عظيم من انتصاراتنا الخالدة ، انه ليس نصرا عسكريا ولكنه نصر أضخم ، نصر سياسي اقتصادي اجتماعي انساني . بل هو في أعماقه نصر عالمي . فقد أرادت دول الغرب الكبرى ومن ورائها الصهيونية ألا يقام السد والسد حيوي وجوهري لمصر ، لتقدمها الصناعي ورفع مستوى معيشة سكانها والماء بالنسبة لسكان مصر كالدماء التي تسري في عروقهم وشرايينهم ، والطاقة الكهربية التي سينتجها هذا المشروع وتقدر بعشرة آلاف مليون كيلو وات في السنة طاقة هائلة اذا قيست بمجموع الطاقة الكهربية التي أنتجتها بريطانيا في عام ١٩٥٥ — ١٩٥٦ وتبلغ خمسة وسبعين ألف مليون كيلو وات .

وهو يوم نصر لنا لأن الدعاية الصهيونية والغربية المغرضة تقوم على أننا شعب متأخر متخلف على مر العصور والأجيال ، شعب متعصب ، شعب يسوده الفقر والجهل والمرض ، شعب صحراوي يستخدم الجمل في تنقلاته فاقامة السد في الموعد

الموقوت معناه أننا شعب متقدم ، شعب حى ، يستطيع أن يتحمل المسئولية وأن ينهض بالأعمال الشاقة الدقيقة ، وأنه عازم كل العزم على أن يشق طريقه وسط المخاطر والأهوال وأن يحقق المعجزات ، ايمانا منه بأنه وارث أعرق حضارة فى العالم ، وأن تفكيره الذهنى فى أعلى مستوى ، واحتماله الجسمى أو طاقته البشرية فوق المستوى وايمانا منه بأنه عضو فى المجتمع البشرى الكبير عليه أن يشارك فى رخائه وتقدمه ومحاولة جادة منه للتغلب على التخلف الذى يعد الاستعمار المسئول الأول عنه فكما قال الرئيس جمال عبد الناصر : « لقد فاتنا عصر البخار وعصر الكهرباء وعلينا أن ندرك ما فاتنا » .

وهو يوم نصر لنا لأننا باقامة السد العالى سنطور المجتمع تطويرا آليا وصناعيا ونثبت للعالم بما لا يقبل الجدل أن الأمة العربية أمة قد أخذت على عاتقها أن تقضى على التخلف وأن تساير الركب الحضارى ، وأن علينا أن نزيد من طاقتنا ومواردنا البشرية حتى يمكن أن نقضى على اسرائيل التى تساندها الصهيونية والغرب المتعصب فكل حرب اذا اشتعلت تعتمد أكثر ما تعتمد على الموارد والطاقة البشرية وبغير هذه الموارد والطاقة لا يمكن صمود الدولة المحاربة اذا طال أجل الحرب .

واذا كان يوم ١٥ مايو يقترن فى أذهاننا بذكرى تقسيم فلسطين وقيام دولة اسرائيل فانه فى هذا اليوم بعد عام ١٩٦٤

يحمل معنى آخر هو أننا فى هذا اليوم قد أدنينـا أجل النصر واعادة فلسطين الى العرب من أهلها ، فالدعاية الصهيونيـة لن تجد المعين الذى كانت تستمد منه قوتها من قبل ، وحلول هـذا اليوم معناه اننا قد دخلنا مرحلة الانطلاق الثورى فزدنا من مواردنا الصناعية والزراعية ، وصدق فينا ما قاله أحـد الدبلوماسيين العرب عندما زار مواقع العمل فى السد العالى من أن « الانسان العربى الذى يعمل فى هذه الأنفاق .. هو نفس الشخص الذى طرد الانجليز من السويس ، وطرد فرنسا من الجزائر ، ومن لبنان وسوريا .. وغدا نفس هذا الانسان هو الذى سيحدد مصـير فلسطين ان شاء الله ويدمر أحلام اسرائيل » .



ملحق ـ ١

نص خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى أسوان

فى ١٥ مايو ١٩٦٤

أيها الأصدقاء ، أيها المواطنون ...

فى هذه اللحظة الحاسمة والمجيدة من لحظات النضال والانتصار ، أريد ان ابدأ حديثى بالتحية . الى كل ابطالنا الذين شاركوا فى الثورة المصرية الحديثة ، حتى تحقق أملهم فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وتحررت الارادة المصرية لتعيد بناء مصر من جديد ، بالعمل وبالكرامة .

الى الرجال الذين وقفوا فى مطلع القرن التاسع عشر يرفعون رؤوسهم ضد استبداد الامبراطورية العثمانية . ويتحدون ظلم المماليك وطغيانهم . الى الرجال الذين فتحوا الطاقات الأولى للفكر الثورى المصرى ، وأعادوا اتصاله بمجرى الحضارة العالمية ؛فى منتصف القرن التاسع عشر .

الى الرجال الذين التفوا من حول أحمد عرابى فى أول محاولة للثورة المسلحة ضد أسرة محمد على ، وضد مؤامرات الدول

الاستعمارية الكبرى ، وضحوا فى معارك الاسكندرية والتل الكبير .

الى الرجال والنساء الذين تحملوا مسئولية الثورة الشعبية سنة ١٩١٩ ، وكانوا وقودها وكانوا ضحاياها ، وتلقت صدورهم رصاص الاستعمار من الامام ثم وجدوا الرجعيـــة تسرق منهم ثورتهم وتزداد ثراء على حسابهم بها .

الى الشباب الذين سقطوا فى انتفاضة سنة ١٩٣٥ ، وهم ينادون بالدستور والديمقراطية ، واذا الرجعية الحاكمة تطعنهم بتوقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ .

الى زهرة شباب مصر ، الذين جادوا بالدم على أرض فلسطين الحبيبة ، فى محاولة يائسة ، لعرقلة قضية المؤامرة الكبرى ضد الأمة العربية ، لاقامة اسرائيل وسطها ، قاعدة للاستعمار ، ونقطة ارتكاز وتهديد .

الى الرجال الذين خرجوا فىتصميم فجر يوم٢٣ يوليويغيرون مجرى التاريخ فى بلادهم على أضواء الصباح الأولى . أو يدفعون رؤوسهم ثمنا لتصميم يفجرون الثورة ، أو يسجلون فى التاريخ ، أن الجيل المعاصر من شباب مصر ، رفض أن يستسلم ، وتمرد على الخضوع .

الى الرجال والنساء والاطفال الذين صنعوا معجزة المقاومة

ضد العدوان الثلاثى ، فى منطقة قناة السويس،وفى معارك سيناء، وبورسعيد ، وفى المدن التى تعرضت للغارات ليل نهار .

الى الجنود البواسل ، الذين قاتلوا دفاعا عن ثورة الشعب العربى فى اليمن ، والذين تحركوا انتصارا لثورة الشعب العربى فى الجزائر .

الى الجماهير الصابرة التى تحملت معارك الحرب النفسية ، والحصار الاقتصادى ، ودفعت التكاليف الباهظة لعمليات التطوير والبناء .

الى الطلائع العاملة من فلاحى مصر وعمالها وعلمائها ومثقفيها الذين أداروا قناة السويس بعد تأميمها وأنشأوا الصناعات الكبرى ، وتحملوا مسئوليات ادارتها ، وأضاءوا بحماسهم وفكرهم طريق المستقبل الجديد ، وضاعفوا الانتاج مرة ، ويضاعفونه الآن مرة أخرى .

ان هؤلاء جميعا ، قبل أى حديث تحية النضال والانتصار ..

هنا رمز حى ..

يا رجال مصر ، يا رجال مصر ويا نساءها وأطفالها ، هنا أمام الدنيا كلها ، رمز حى لارادتكم وتصميمكم ، ومقدرتكم على العمل وعلى الفداء . هنا بهذا السد العالى تذكار لانتصاركم على كل اعتداء ، وعلى كل الصعوبات . هنا صورة رائعة لأحلامكم ،

صنعها العمل الذى يحرك الجبال ، ويخضع الطبيعــــة لارادة الانسان مهما دفع من الدم والعرق ، وليؤكد سيطرة الانسان ، بروح ربه وهداه على الحياة ، لتكون شرفا له وليكون شرفا لها.

أيها الأصدقاء ، أيها المواطنون ليست هناك بقعة من الأرض تصور المعركة العظيمة للإنســان العربى المعاصر ، فى أبعــادها الشاملة كهذا الموقع الذى تقف أمامه على سد أسوان العالى .

هنا تختلط المعارك السياسية والاجتماعيـــة والقوميــــة والعسكرية للشعب المصرى، وتمتزج كأنها كتل الاحجار الضخمة، التى تسد مجرى النيل القديم ، وتختزن مياهه فى أكبر بحـيرة صنعها الانسان ، لتكون مصدرا دائما للرخاء .

أمل الثورة وخطتها :

ان فــلاح مصر عبر قرون الزمان الطـويلة يحلم بالأرض . والأرض تحاصرها الصحراء من كل ناحية ، والأرض ينهبهـــا الاقطاع ، وثروة مصر لم تكن موجهة الى تطوير مصر، وانما كانت كلها تتسرب الى جيوب كبار الرأسماليين المســتغلين ، ومعظمهم من الأجانب ، يتسترون وراء قشرة رقيقة من المصريين . وصناعة مصر لاتتحرك لخدمة الجماهير ، وانما تخدم الطبقات المــالكة، وتفرض الثمن كله ضريبة على الطبقات العاملة ، وناتج العمــل

الوطنى لا يترك بعد النهب المنظم والاستغلال فائضا يكفى لخدمات التعليم والصحة والمواصلات ، فضلا عن خدمات التأمينـــات الاجتماعية .

وحين أخذت الارادة الثورية المصرية على عاتقها ، تنفيـــذ مشروع السد العالى ، ثم خطة ثورية كاملة للتطوير ، كان ذلك كله فى ضميرها وفى وجداناتها .

كانت فى الطريق الى تخليص الأرض المصرية ، من ســيطرة الاقطــاع ، وكان فى أملها ، ان تخلصها من ســيطرة الصحراء ، وتضيف اليها ، ما يقرب من نصف مساحتها القديمة ، كانت تقيم الصناعات وتبنى محطات الكهرباء ، وكان أملها بكهرباء الســد العالى ، أن تضاعف مرة واحدة ، بعمل واحد ، كل طاقة الكهرباء فى مصر ، ما كان موجودا منها قبل الثورة ، وما أضــيف اليهــا بعد الثورة .

ولقد وقف فى طريقها ، كل الذين كانت ترتبط مصـــالحهم بالأوضاع القديمة البالية .. وقفت الرجعية ضدها بالتشكيك فى المشروع ، ثم فى قدرة شعب مصر على تنفيذ المشروع ، ثم وقف الاستعمار ضدها بكل الوسائل ، لا يريد لسد أسوان العالى أن يرتفع بكل قيمته المادية كعمل ، وبكل قيمته المعنوية كرمز .

ولقد راوغت قوى السيطرة والاستعمار وناورت ، تقــدمت بالمساهمة فى المشروع لترتكز على مساهمتها الآمال والخطط ثم

تتخلى بعد ذلك فجأة ، فتنهار الآمال والخطط ، وكان التقـدير أن تنهار الثورة .

أيها الضيوف ، أيها المواطنون :

ان الشعب المصرى ، عاش أروع لحظاته فى تحدى كل هذه التقديرات الخائبة ، فى الوقت الذى انتظروا فيه انهيـار الآمال والخطط والثورة ، وتراجعها جميعا أمام المفاجأة الغادرة ، فقـز الشـعب المصرى الى الأمام ، وضرب ضربته الخالدة بتأميم قناة السويس يبنى بدخلها سد أسوان العـالى . ولم تكن تلك هى المفاجأة الغادرة الأخيرة ، فلم تمض الا شهور قليلة ، حتى أقبلت أساطيل الغزو وجيوشه ، تريد أن تقتحم شواطىء مصر وأجواؤها لتحطم الارادة الثورية المصرية .

لـكن الارادة الثورية المصرية أثبتت أنهـا أقوى من جميـع أعدائها . كانت فى وقفتها العظيمة تمثل الحياة . وكان أعداؤها هم أعداء الحياة .

ان الارادة الثورية المصرية ، حركت أصلب حوافز المقـاومة الوطنية ضد الغزو وحركت قوى الأمة العربية كلهـا ، وهـزت ضمير العالم ، وقوى السلام فى الكرة الأرضية بأسرها . وتمكن ذلك كله من رد العدوان وقهره وتحطيم آماله وخطته وبقيـــة الآمال والخطط المصرية حية على الأرض المصرية ، تناضل ببسالة لكى تحقق ذاتها .

شكرا لنيكيتا خروشوف :

أيها الضيوف ـ أيها المواطنون ...

عندما أصل الى هذا الحد لابد من أن أشير بالتحيةالى موقف الاتحاد السوفييتى فى مناصرة مصر وتأييدها بالفعل والعمل . ان الاتحاد السوفييتى وقف مع مقاومتها ضد الغزو والعدوان . ولم يكتف بذلك وانما مد تأييده بعدها الى آمالنا وخططنا فى بناء السد العالى وقدم لنا القروض والخبرة الفنية اللازمة لمساعدتنا فى بناء السد العالى فى مرحلتيه .

ان الاتحاد السوفييتى وقع معنا اتفاقيتين لقرضين فيتهما معا ١٠٠ مليون جنيه ثلثها للمرحلة الأولى التى تم تنفيذها اليوم ، والثلثان للمرحلة الثانية التى بدأ تنفيذ بعض أعمالها بالفعل مع أعمال المرحلة الأولى . ليتم السد كله بمرحلتيه سنة ١٩٦٨ محققا كل نتائجه من الأرض الجديدة ، ومن طاقة الكهرباء ، ومن عملية التطوير الضخمة والعميقة التى تترتب عليها وابعادها الاقتصادية والاجتماعية .

ولم تكن المسألة مسألة اتفاقيات ولكن روح تنفيذالاتفاقيات كانت أهم من نصوصها .

ان سنوات طويلة من العمل المشترك قد أقامت صرحا للصداقة العربية ـ السوفييتية لا يقل عن صرح السد العالى قيمة ولا

رمزا . انها قوة العمال والمهندسين العرب والسوفييت ماثلة في كل تفاصيل هذا العمل الذي هو بغير جدال من اضخم الاعمال الانسانية في عصرنا الحديث . وأشهرها على الاطلاق . وابعدها صيتا بالدور الذي لعبه في تاريخ العالم الحديث .

لقد كان السد العالي هو محور معركة السويس العظيمة التي كانت أبرز نقط التحول في المجال الدولي منذ الحرب العالمية الثانية ، وبداية لانطلاق معركة التحرير الوطنية الهائلة في افريقيا .

فليسمع العالم كله ..

أيها الصديق العزيز نيكيتا خروشوف انني أوجه اليك هذه الفقرة من خطابي وأريد ان تسمعها وان تسمعها معك شعوب الاتحاد السوفييتي،بل انه يهمني ان تسمعها الدنيا كلها معكم من هنا .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الاطلاق ، ومهما طال الزمن الجهد الذي بذلته شخصيا في عملية بناء السد العالي . لقد توليت بنفسك أكثر من مرحلة من مراحل الاتفاق على اقامته . وكانت حماستك له دائما قوة لها أثرها بغير جدال فيما نراه من حدث الآن .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الاطلاق ،

ومهما طال الزمن ، التعاون الودى الذى قدمته حكومة الاتحاد السوفييتى فى مراحل الكفاح والتنفيذ .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة لن ينسى على الاطلاق ، ومهما طال الزمن العمل الخلاق الذى قام به المهندسون والعمال السوفييت ، فى معاهد الدراسة والابحاث فى الاتحاد السوفييتى وفى المصانع السوفييتية التى كلفت بتنفيذ الآلات اللازمة للبناء .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة ، لن ينسى على الاطلاق، ومهما طال الزمن روح النضال والمثابرة والصبر التى أبداها المهندسون والعمال السوفييت الذين شاركوا هنا على الموقع مع اخوتهم من المصريين فى عملية البناء .

ان هؤلاء الرجال ادوا عملا باهرا فى ظروف طبيعية تختلف عما ألفوا ، كذلك فان زوجاتهم وأطفالهم الذين صحبوهم هنا الى أسوان ، وعاشوا معهم عملهم وظروف هذا العمل ، هم شركاء للرجال العاملين بالحق فى تقديرنا .

انكم جميعا ـ أيها الصديق العزيز . كنتم معنا فى أعز أحلامنا وكنتم معنا فى أكبر جهد واحد صنعه نضالنا من أجل تطوير الحياة . انكم بهذا الموقف أقمتم على أرض العرب ، وعلى أرض أفريقيا ، جسرا للصداقة بين الشعوب والقارات وأسستم تضامن الثورات الأصيلة المكافحة كلها من أجل حياة أفضل لجماهير الشعوب .

يا بناة السد العالى .

فى هذه المناسبة . باسم شعب الجمهورية العربية المتحـدة ، اتقدم اليكم بالشكر والعرفان ، على العمل الكبير الذىاقمتموه.

يا بناة السد العالى .

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أتقدم بالشكر والعرفان الى وزير السد العالى محمد صدقى سليمان ، على ما بذله وعلى المثل الأعلى الذى ضربه . فنفذ السد العالى فى أوقاته المحددة . وكانت صحف الاستعمار تقول ان السد العالى تتعثر فى الطريق .

يا بناة السد العالى .

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة أتقدم بالشكر والعرفان الى السيد اكسندرو الخبير السوفييتى ، الذى عمــل بشرف **واخلاص حتى تحقق هذا العمل الكبير .**

يا بناة السد العالى .

باسم شعب **الجمهورية العربية المتحدة** اتقـدم بالشـــكر **والعرفان الى كل الوزارات والمؤسسات التى ساهمت فى هـذا** المشروع ، وأخص بالذكر قواتنا المسلحة ، قواتكم المسلحة التى **عبأت كل جهودها لتساعد حتى يتم هذا العمل الكبير .**

يا بناة السد العالى .

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة اتقدم بالشكر والعرفان الى كل فرد منكم لانه ادى واجبــه امام الله وامام الوطن وامام الضمير .

أيها الأصدقاء – أيها المواطنون ...

تحت الظلام الذى فرضته الغارات أثناء معركة السويس . **وفى الخنادق . ووسط المعارك العسكرية والاقتصادية والنفسية** كانت أغنية الرجال والنساء والأطفال من أبناء مصر بأنهم سوف **يبنون السد .**

يا رجال مصر ونساءها وأطفالها لقـد تحققت المعجزة وبنيتم السد . ان الله منحكم الشجاعة على الصمود ومنحكم القـدرة **على العمل .**

اننا الآن ننظر الى المعجزة امامنا ونقول كما قلنا دائما بعـد كل انتصار .

ايها المواطنون ...

باسمكم جميعا اتوجه بالشكر الى المشير عبد الله السـلال لمشاركتنا فى هذه المناسبة السعيدة العزيزة علينا ، وعلى العـرب اجمعين .

أيها المواطنون …

باسمكم أتوجه بالشكر الى الرئيس عبد السلام عارف لمشاركتنا فى هذه المناسبة العزيزة علينا وعلى كل عربى ، وارجو للشعب العراقى كل نجاح .

أيها المواطنون …

باسمكم أتوجه بالشكر الى الرئيس أحمد بن بيللا الذى سينضم الينا بعد ظهر هذا اليوم لمشاركتنا فى هذه المناسبةالعزيزة علينا ، والعزيزة على العرب أجمعين ، وأرجو لشعب الجزائر الشقيق كل تقدم وكل نجاح .

أيها المواطنون …

سيروا على بركة الله ، والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الرئيس الثانية :

وبعد أن انتهى الرئيس خروشوف من القاء خطابه ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر الكلمة التالية :

أيها المواطنون …

باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة ، اشكر الصديق

العزيز الرئيس نيكيتا خروشوف،وهيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى،على هذا التقدير الذىاعطى لى ولاخى المشير عبدالحكيم عامر.

وأنا أعتبر ان هذا التقدير موجه للشعب البطل ، شعب الجمهورية العربية المتحدة . هذا الشعب البطل الذى ضرب فى خلال السنوات التى بدأت منذ الثورة المثل الأعلى على النضال ، وفى التصميم ، على تحقيق اهدافه .

عاش شعب الجمهورية العربية المتحدة . عاش الشعب العربى عاشت الصداقة السوفييتية ــ العربية .



ملحق (٢)

خطاب الرئيس نيكيتا خروشوف فى أسوان

فى ١٥ مايو سنة ١٩٦٤

« أيها الصديق العزيز الرئيس جمال عبد الناصر

ايها الرفيق الرئيس العزيز

اذا كنت قد سمحت لنفسى فى هذا المقام ووجهت اليكم كلمة الرفيق ، فلأن لفظ الرفاق عند شعبنا يعنى مجموعة من الأفراد يشتركون معا فى حل قضية ذات أهمية عظيمة لجموع الشعب .

وليست اقامة سد أسوان العالى الا قضية عظيمة اشتركنا فيها معا وكنا رفاق عمل مشترك لقهر الطبيعة القاسية ، والعمل على احياء تلك الاراضى الصحراوية حتى تكون فى خدمة الانسان وسعادته .

انه لمن دواعى السعادة لدى أن تكون أول زيارة لى الى أرض عربية فى هذه الأيام التاريخية التى يرتفع فيها السد العالى صرحا شامخا لا يزول مجده أبدا ولن تقل أهميته مهما تعاقبت الأزمان .

ان المياه للأرض الصحراوية هى الحياة نفسها . ومن الماء

يصبح كل شيء حيا . واذن فان اقامة السد العالى يعنى ايجاد منبع جديد وغزير لمزيد من الحياة أمام الانسان . فاذا كان السد يعطى المياه لتحيا بها الصحراء ، فانه كذلك يمد الصناعة بالطاقة الكهربائية الهائلة .

ان أبناء الشعب السوفييتى ـ أيها الصديق العزيز قد نالهم الشرف وهم يساهمون فى هذا البناء العظيم الذى يقيمه شعب الجمهورية العربية المتحدة الصديق .

هكذا يبذل شعبانا معا كل ما لديهما للانتصار على عوامل الطبيعة القاسية ، هنا على شواطىء نهر النيل العظيم لكى يتحقق الخير لشعبكم الذى يكدح ويعمل وينتج .

ان نشاطكم يا سيادة الرئيس الذى يهدف الى النضال ضد الاستعمار والاستغلال الأجنبى ويرمى الى تدعيم استقلال بلادكم ، فاخترتم الاشتراكية طريق المسير لمجتمعكم الصحيح،كل هذه المشاركة الايجابية المثمرة بيننا على طريق الخير فى بناءالسد العالى العظيم .

وكذلك فى السير للكفاح ضد الاستعمار هى التى أعطتنى الحق فى وصفكم بكلمة الرفيق يا صديقنا جمال عبد الناصر .

سيادة وزير السد العالى المهندس صدقى سليمان .

أيها السادة الوزراء .

أيها العاملون فى أسوان .

يا بناة السد العالى البواسل من العمال والمهندسين والفنيين العرب وزملائهم السوفييت من مواطنى الاعزاء .

اسمحوا لى أن أعبر عن مزيد شـكرى وتقديرى على كلمات التحية الطيبة وعلى حرارة الاستقبال والحفاوة البالغة التى ألمسها **منكم .**

ان هذه المشاعر الطيبة ــ أيها الاصدقاء التى توجهونها الى والى أبناء الاتحاد السوفييتى وممثلى شـعبه ليست الا تعبيرا وتأكيدا للصداقة القائمة بين الشعبين .

انه ليسعدنا حقا ان نرى علاقات الصداقة الوطيدة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة تزداد على مر الأيام قوة وتدعيما .

عيدان عظيمان :

أيها الأصدقاء الأعزاء ...

لقد بدأت أمس سنة هجرية جديدة من سنوات التقـــويم الهجرى الاسلامى .

ويطيب لى أن أكون هنا معكم لأعبر لكم عن تهنئتى بالعــام الهجرى الجديد ومتمنيا لكم دوام النجاح فى جميع اعمــالكم واطراد صور الاسعاد فى حياتكم .

فاذا كان شعب الجمهورية العربية المتحدة قد استهل امس عاما جديدا فانه اليوم أيضا يحتفل بعيد جديد رائع وعظيم .

ونحن نشاركم ايها الاصدقاء هذه السعادة الغامرة بمناسبة الحدث التاريخى فى حياة بلادكم . فان السيطرة على نهر النيــل وتحويل مجراه يعنى اتمام المرحلة الهامة فى اقامة السد العــالى العظيم فى أسوان . ولسوف نعتز دائما بانه كان لنا شرف حضور احتفالات هذا الانتصار الرائع .

ان النيل الجبار العاتى قد خضع لارادة الانسان اليوم حينما بغير مجراه حتى لا يضيع ماؤه هباء ولكن يحتفظ بمياهه فى خزان المياه الذى هو على شكل بحيرة واسعة تعتبر من أكبر البحيرات الصناعية فى العالم كله .

وسوف تتمكنون فى عام ٦٤ ــ ٦٥ من رى ٢٨٠ ألف هكتار ريا مستديما .

وتلك بشائر لأغلى الغايات والأمانى تتحقق لمئات الألوف من الفلاحين .

وقد كان توفير المياه وزيادة الرقعة الزراعية بالنســـبة لهم

مجرد أحلام . ولقد ظلت تراودهم هذه الأمانى منذ قديم الزمن ومنذ بداية البشرية هنا فى وادى النيل الى ان جاء لكم جمال عبد الناصر .

ان الانتصار الذى حققتموه ، وتحققونه اليوم ، هو انتصار عظيم حقا لارادة العمل . وشعبكم جدير ان تتحقق له كل الآمال ، وسيتمكن شعبكم من ان يتحكم فى تدفق مياه النيل ، حتى يستخدمها الشعب على خيراته ولمصلحته . ولسوف ينتهى العمل بعد عدة سنوات هنا فى بلادكم ، لاعظم سد يقام على أرض هذه القارة الافريقية وجدير به ان يسمى المعجزة الثامنة .

ان بناء السد العالى سيكون له أثر كبير فى تطوير الاقتصاد الوطنى للجمهورية العربية المتحدة .

ان الشعب الذى عاش على شاطىء نهر النيل كان منذ أقدم العصور يواجه المصاعب والمحن لقلة مساحة الارض المنزرعة ، وعدم توفر المياه .

اما السد العالى فسوف يوفر كميات المياه ، التى تزيدمساحة الاراضى المنزرعة بمقدار الثلث ، وتلك زيادة كبيرة تضاف الى الاراضى التى تزرع حاليا فى انحاء الجمهورية العربية المتحدة .

لكن النظرة الثاقبة الى الجيل الصاعد فى بلادكم ، ولكن ما يبدو على اطفالكم وعلى شبابكم من عزيمةوقوة وقد رأيناالملايين

منهم فى المدن والقرى فى بلادكم مما يؤكد ان هذا الشعب العظيم بعد فترة من الزمن سوف يكون فى حاجة الى مزيد من الاراضى الزراعية .

ولهذا فسوف تواجهون قضية اخرى . هى ضرورة الحفاظ على مقادير المياه عندكم . فلا تستخدم الا بالقدر المعقـول حتى تستطيعوا زيادة مساحات الارض المنزرعة دون الحاجة الى مزيد من موارد المياه .

لقد ظلت هذه القضية موضع دراسة واختبارات علماء الرى وخبراء الزراعة مدة من الزمن ، حتى استطاعوا ان يتوصلوا الى حل لها .

ان وسيلة الرى التقليدية فى الوقت الحاضر ، تتم عن طريق انشاء الترع والقنوات . الأمر الذى تضيع معه مقادير كبيرة من المياه دون مبرر .

لـكن العلماء توصلوا الى أسـلوب آخر لرى المحاصـيل والنباتات . ذلك هو طريق الرى بالرش.ولئن كانت هذه الوسيلة تحتاج فى المراحل الأولى منها عنـد التطبيق الى نفقات كثيرة ، لأنها تمكن فى الوقت نفسه من رى مساحات أكثر من الأرض ، وانتاج كميات أوفر من المحاصيل الزراعية .

وذلك يغطى فى النهاية كل النفقات التى تتكلفها .

انني اعرف ذلك من الخبرة العملية ومن التجارب التي لمستها وتمت في جمهورية آسيا الوسطى في الاتحاد السوفييتي .

لذلك فانني اسبق الحوادث واحس بما قد يواجهكم من قضايا ، اعتقد انكم سوف تدرسونها للتغلب عليها .

كما أود أن أذكر هنا قضية أخرى أعتقد انها بنفس الأهمية من وجهة نظري ، ان التجارب العلمية ايها الاصدقاء اثبتت امكانية نمو الزرع بوسيلة اخرى ، تسمى الانتاج الهيدروفوني اى ان النبات لا يحتاج الى طبقة من الارض المحروثة لكي ينمو ، وتستطيع السوائل الكيماوية ، التي يعدها الانسان ويجري تحضيرها ان تمد النبات بالغذاء اللازم لنموه .

أعتقد ان هذا الأسلوب من الزراعة سيكون له شأن كبير في زراعة الصحراء .

فهنا في أسوان مثلا يمكن استخدام وسائل الآلات العديدة ، لايجاد بساتين خاصة لزراعة الخضروات ، عن طريق هيدروفون فمزارع الخضروات تبعد عن أسوان أربعمائة كيلو ، حينما يمكن زراعتها عن طريق هيدروفون هنا .

ولدينا في الاتحاد السوفييتي خبرة وتجارب . لكنها ليست واسعة النطاق في هذا الميدان . لأن استخدامه أكثر في البلاد الأخرى . نحن نستخدم هذا الأسلوب الهيدروفوني ، في زراعة

الخضر كالخيار والطماطم والبصل ، وانتاج الخضروات بهــذه الطريقة عمل رابح من الناحية الاقتصادية . واعتقد ان العــلم والتجارب كفيلان بان يتم التوصل الى طريقة زراعة الحبـوب أيضا ، بهذا الاسلوب الحديث الهيدروفونى .

ونحن نبدأ بما تحقق من التجارب فى نجاح زراعة أى نوع من المحاصيل . ولما كانت الخضروات تؤلف عنصرا كبيرا من عناصر الغذاء للانسان ، فنحن على استعداد لان نشاركـكم فى خبرتـنا لزراعة الخضروات بهذه الطريقة العلمية الحديثة .

ارادة شعب ..

أيها الأصدقاء ، ان بناء محطة توليد القوى الكهربائية فى سد أسوان العالى ، سوف توفر للبلاد طاقة هائلة من الكهرباء .

وان تقدير الكهرباء من المختصين ان هذه المحطة سوف تعطى طاقة كهربائية فى السنة أكثر من ضعف ما تقدمه جميع محطـات الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر .

وأهمية أسوان فى الوقت الحاضر لا تكمن فى النـــواحى الاقتصادية بأرقامها العديدة فحسب . فاننا نشاركـكم الاحتفـال اليوم بجانب ذلك كله بالانتصار المعنوى والانتصار السياسى .

الانتصار على قوى الاستعمار والاستغلال الاجنبى . فمنذ اربعة أعوام فقط ، حينما سمع العالم كله صدى اول تفجـــير لركامات الصخر هنا ، وقد قام به الصـــديق الرئيس جمـال

عبد الناصر ايذانا ببدء العمل فى هذا السد العظيم ، ارتفعت الاصوات الحاقدة تدعى ان بناء السد العالى فى اسوان،ما هو الا ضرب من الخيال ، وان شعب جمهوريتكم العربية المتحدة لا يستطيع ان يحتمل القيام بذلك العبء الكبير .

واليوم يحق لنا ان نقول لهؤلاء افتحوا عيونكم جيداً لتروا ما يحدث هنا ، حتى تدركوا ما هى العجزة التى قام ويقوم بها الشعب المصرى .

« لقد قال كأحسن القول رفيق العمل المشترك من أجل جموع الشعب صديقنا الرئيس جمال عبد الناصر حينما تحدث عن أهمية السد العالى وقيمته . ذكر ان هذا السد يرمز الى ارادة شعب وإلى عزمه على التحرر من الاستغلال ومن التبعية بكل اشكالها وجميع مظاهرهما .

ان الجهود الوطنية لأى شعب من الشعوب والاجناس لا تكلل أيها الأصدقاء بالنجاح الحقيقى الا نتيجة للنضال العنيف ضد الاستعمار والقضاء عليه قضاء تاما .

بجانب كل هذا عن أهمية السد العالى فانه يدل كذلك فى وضوح وبصورة علمية ان الشعوب الصغيرة تستطيع القيام بالاعمال الكبيرة الجبارة ، بل تستطيع ان تحقق كل غاياتها وأمانيها .

انه لعمل عظيم وخالد حينما يبقى السد العالى شامخا يخلد عبر عصور التاريخ صورة التعاون العملى المثمر بين شعبينا . فهنا وفى ظروف لم يتعود عليها ابناء الاتحاد السوفييتى عمـــل الخبراء من العمال السوفييت جنبا الى جنب فى هذه الظروف مع ٣٠ ألفا من العمال الفنيين والمهندسين العرب .

وأرجو أن اوجه التهنئة القلبية العميقة الى وزير السد العالى على هذا الانتصار العظيم الذى تحقق .

انه يدير العمل فى بناء هذا الصرح الكبير باسم سيادةالرئيس جمال عبد الناصر . اسمحوا لى ان اشكركم يا سيادة الوزير المحترم أنتم وجميع الخبراء والعمال والفنيين العرب على التعاون الوثيق الذى ظل رائدكم جميعا فى التعامل والعمل مع الخبـــراء السوفييت . ويسعدنى أن أعلم ان كثيرا من مواطنى أبناء الاتحاد السوفييتى الذين شاركوا فى العمل مع زملائهم العرب قدموا أمثلة رائعة للبطولة فى اعمالهم .

اننى أشهد هذه الظروف التى يعمل فيها المواطنون من أبناء الاتحاد السوفييتى هنا . وألمس انها تختلف عن الظـــروف التى نعمل فيها نحن ابناء الشمال فى روسيا . الا ان ذلك ضاعف من سرورى واعتزازى بشعبنا السوفييتى . وان أبناءه ايها الأصدقاء لا يعملون بهذا الحماس والاقدام لمجرد الحصول على التعويض المادى . انما هم يعملونذلك بهذه الصورةمن العزم لانهميحسون

بالراحة المعنوية الكاملة نتيجة مشاركتهم فى العمل مع اصدقائنا العرب .

وأود ان أشير بصفة خاصة الى السيدات السوفييت ممن يعملن هنا ومن جئن مع أزواجهن الى حيث يعملون مهما بعدت المسافات أو اختلفت الظروف . كذلك أرجو أن أشيد هنا بالعمل المثمر الذى قام به كبير الخبراء السوفييت وما قام به من جهد فى بناء السد العالى بأسوان وهو الرفيق الكسندروف ، وأحيى معه جميع المهندسين والفنيين والعمال السوفييت .

أرجو أن أشكرهم وأشيد بعملهم وهم يمثلون بلادنا ، يمثلون الشعب السوفييتى بأسره خير تمثيل وهم يحسنون العمل هنا والتعامل مع بناة السد العالى . وارجو كذلك ان اوجه هنا تحية وثناء الى من وضع تصميم مشروع السد العالى .

واسمحوا لى ان أبعث من أسوان عند السد العالى العظيم بعبارات التقدير والشكر العميق الى العمال والخبراء والمهندسين الذين يعملون فى جميع المؤسسات الصناعية فى الاتحاد السوفييتى ومعامل الأبحاث العلمية ومؤسسات التخطيط الذين كانوا ولا يزالون يعملون بكفاءة من أجل تقديم العون لاحتياجات السد العالى .

وسام لينين ..

وحينما اعبر لكم أيها المواطنون الاعزاء من ابناء الاتحاد

السوفييتي عن خالص الشكر والتقدير لاعمالكم النـــاجحة وروحكم الطيبة فانني لا اعني أبدا انكم مجرد الخبراء الطيبـين فحسب . بل أعني أيضا انكم تمثلون وطننا الاشتراكي الطيب . وأرجوا ان تواصلوا العمل المثمر من أجل المزيد من رفعة بلادكم التي ليست مجرد بلاد العلم المتقدم فحسب ، ولا هي مجرد بلاد الفن العالمي فقط . او هي بلاد الممتازين والمتفوقين في الاعمال انما هي ايضا بلاد الاشتراكية العالمية الحقيقية التي تقدم المساعدات الى كل البلدان المتحررة .

انكم تقدمون البرهان بأعمالكم هذه على ان الاشـتراكية تحقق بالتقدم وبالعلاقات القائمة على المساواة بالشعوب والايمان بضرورة تدعيم الروابط الانسانية الأخوية بين الأمم .

ان الوطن أيها الرفاق يعتز بكم .

ايها الأصدقاء ..

يسعدني في هذه المناسبة . غاية السعادة . أن أعلن هنا في هذه المناسبة الكريمة التاريخية بأن هيئة رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتي ، قرر اليوم ان يهدي لرئيس الجمهورية العربيـــة المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ارفع وسام في بلادنا ، وهـو لقب بطل الاتحاد السوفييتي وينص قانون هيئة رئاسـة المجلس الاعلى على ما يلي : تقديرا للنشاط البـارز الذي قام به رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر ، في نضاله من أجل

الحرية وتدعيم استقلال بلاده ، وفى نضاله ضد ظلم الاستعمار فى كل مكان ، وتقديرا لفضله الكبير الذى ابداه فى رد العــــدوان الاستعمارى عام ١٩٥٦ وكذلك فى قضية المعاونة على تخفيف حدة التوتر العالمى ، وتعزيز السلام الدولى ، ونظرا لدوره البارز فى توطيد الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفييتى والجمهـــورية العربية المتحدة ، هذا الدور الذى يتجلى بوضوح فى بناء ســـد اسوان العالى الجبار ، على نهر النيل العظيم ، يهـــدى رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، جمال عبد الناصر لقب بطل الاتحـاد السوفييتى ، ويهدى الى سيادته وسام لينين وميـــدالية النجم الذهبى .

ايها الأصدقاء ...

ويسرنى فى هذه المناسبة التاريخية ايضا ان اعلن هنا انهيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى ، تقديرا للنشاط البارز الذى قام ويقوم به المشير عبد الحكيم عامر ، النـــــائب الأول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، فى نضاله من اجل الحرية ، وتدعيم استقلال بلاده، وفى ردالعدوان الاستعمارى عام ١٩٥٦ عن مصر ، وتقديرا لدوره البارز فى تطوير الصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد الســوفييتى يهدى المشير عبد الحكيم عامر لقب بطل الاتحاد السوفييتى كمـا يهدى الى سيادته وسام لينين وميدالية النجم الذهبى .

أيها الأصدقاء ...

ويحلو لى فى مجال الحديث معكم ان اهنئكم بالنياشـــين والأوسمة الرفيعة التى أهداها تقديرا لكم السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة . وبهذه النياشين والأوسمة منح شرفا عاليـا الى المهندسين والفنيين والعمال العرب ، وكذلك للخبراء والعمـال السوفييت .

اننى باسم الحكومة السوفييتية وباسم الشعب الســوفييتى بأسره ، اعبر عن امتنانى وشكرى لصديقنا الرئيس جمـــــال عبد الناصر على تقديره الكريم ورعايته البالغة لجميع المهندسـين والفنيين والعمال الذين يشتركون فى اقامة هذا السد العظيم .

وأرجو أن أقدم الشكر الى الرئيس جمال عبد الناصر أيضـا الذى وافق سيادته على قبول العمال والفنيين والمهندسين من ابناء الجمهورية العربية المتحدة ، وحمل النياشين والأوسمة والميداليات المهداة اليهم من الاتحاد السوفييتى .

كذلك فانه يسعدنى أن أعلن هنا أن رئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتى قد منحت أوسمة ونياشين الى عدد كبير من الخبراء والعمال السوفييت والعرب تقديرا لهم على تنفيذ برامج العمل فى بناء السد العالى ، على خير وجه .

اوجه التهنئة الى جميع الذين نالوا هذه النياشين والأوسمة متمنيا لهم اطراد النجاح فى اعمالهم ، راجيا لهم السعادة فى حياتهم .

ايها الأصدقاء ...

ان التعاون الاقتصادى المثمر بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة قد اتسع مداه اتساعا كبيرا فى السنوات الاخيرة .

وهذا مثل واضح من الأمثلة الواقعية لمساعدات الاتحاد السوفييتى الى السياسة الوطنية للدول ، ومساندة كل الحركات التحررية للشعوب الاخرى .

والاتحاد السوفييتى يقدم المساعدة الفنية ويساهم فى تنفيذ وتطوير البرامج الانتاجية ، واقامة اكثر من عشرين من المشروعات فى الجمهورية العربية المتحدة واغلب هذه المشروعات للصناعات الثقيلة وهى الدعامة الاساسية لتطوير اقتصاديات البلاد ، تطويرا متحررا ومستقلا .

وها هى ذى كثير من المشروعات قد خرجت الى حيز الوجود بعد أن تم تنفيذها واصبحت اليوم فى دور الانتاج .

كما ان الجيولوجيين السوفييت قدموا مساعدة للجمهورية العربية المتحدة للكشف عن مواضع للبترول ومناطق للفحم الحجرى .

وحين نتحدث عن التعاون بين الدول والمساعدات التى تقدم للبلاد النامية والفنية اتذكر العهد الذى بدأ به شعبنا البطل يزيل

صور الدمار فى بلاده ويقبل على بناء الاشتراكية رغم ان الكثير من الارواح قد ذهبت ضحية الحرب العالمية الاولى والحـــرب الاهلية الروسية .

فى ذلك العصر لم يكن هناك من يقدم العون والمســـاعدة الى بلادنا .

لكننى أرى الآن كيف تعمل الاشـــتراكية بعد أن أصبحت قوة عالمية عظيمة ، على اسعاد الدول المتطورة والفتية ، لان هذه الدول تستطيع ان تجد من تعتمد عليه .

وبالرغم مما يواجهه الاتحاد السوفييتى ، كما تعلمون ــ أيها الأصدقاء ــ من قضايا عديدة وملحة . تتطلب التكاليف المادية الكثيرة ، الا أننا نقدم لكم المساعدة بقلب راض ونفس راضية .

وان شعبنا السوفييتى يوافق على تقديم هذه المساعدات لأنه يدرك تمام الادراك ويحس بالمتاعب التى تواجه الشعوب المتحررة بعد ان ازاحت عن نفسها كابوس الاستعمار .

والشعب السوفييتى يدرك واجباته الدولية حق الادراك . وليس التعاون الاقتصادى بين الاتحاد السوفييتى والجمهـورية العربية المتحدة ، الا جزءا من البرنامج الواسع الذى ينفـــذه الاتحاد السوفييتى فى علاقاته العديدة مع كثير من بلدان آســـيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

وتستخدم الدول النامية هذا العون من بلادنا ، ومن سائر الدول الاشتراكية ، كاداة قوية فى جهودها الرامية الى تطوير اقتصادها القومى ، وتدعيم استقلالها .

اما فى البلاد الغربية ، فانهم دائماً يتحدثون عن مساعداتهم الاقتصادية للدول الاخرى ويدعون انها برهان قاطع على انطبيعة الاستعمار والاستغلال الأجنبى قد تغيرت وتبدلت .

ولكنا اذا ما دققنا النظر فى سبلهم لتقديم المعونات الخارجية، فاننا ندرك انها ليست الا صورة جديدة من صور الاستعمار وشكلا آخر من اشكاله المتعددة ، ويريد الاستعمار بواسطة هذه الاشكال ان يحتكر ثروات الشعوب الهائلة وان يستوظفها.

الاستعمار والاستغلال

لقد دلت تقارير الاحصائيين ان الاحتكارات الاستعمارية تجمع سنويا خمسة مليارات من الدولارات كربح صاف من توظيف رأس المال الأجنبى . كذلك يعنى ان الاحتكارات الأجنبية قد نقلت طوال عصور الاستعمار الى خزائنها وممتلكاتها نحو ١٤٠١٦ مليار دولار نتيجة نهب الشعوب الافريقية والاسيوية وشعوب امريكا اللاتينية . وعن طريق ما يسمى بالتجارة اسماء وهى فى الحقيقة سيطرة من جانب واحد ، لا يتكافأ امامه الجانب الآخر . ان الاحتكارات الاستعمارية تشمل المواد الخام من بلاد المستعمرات بثمن بخس لا يساوى شيئاً .

ثم هي تعود وتبيع لأبنـاء هذه الشعوب منتجـات الدول الاستعمارية باسعار غالية وخيالية .

لقد أدركت الشعوب ذلك السبيل . فاننا نجد أن كل الدول التى تحررت تعرف ما وراء هذا المساعدات وتعرف حقيقتهـا . ولقد اصبحت كل الدول المتحررة تصف هذه السياســـــة الاستعمارية بانها صورة أخرى من صور الاستعمار والاستغلال

أيها الأصدقاء الأعزاء ...

ان الأغلبية الساحقة من شعوب المستعمرات سابقا قد احرزت استقلالها السياسى . انه انتصار كبير حقا للانسانية وله أهميةعالمية تاريخية .

لكن هذا الانتصار لا يعنى ان حركات التحرر الوطنى قــد انتهت مهمتها . أبدا فالبلدان التى نالت الاستقلال الســـياسى الوطنى تضع الآن فى اعتبـارها الأول مهمة تدعيم الاســتقلال الاقتصادى المتين . وتضع أيضا رفع مستوى معيشة الشــعب ، والتقدم الاجتماعى ، وأحب أن أشير وأنا أتكلم اليوم من أسوان ان الجمهورية العربية المتحدة ، تحت قيـادة رئيسها جمـــال عبد الناصر ، قد حققت نجاحا منقطع النظير ، سواء فى الاصلاح الزراعى والقضاء على الاقطاع ، او فى القطاع التجارى ، وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج بالتأميم ، وكذلك باجراء التحـــول الاجتماعى والاقتصادى الكبير .

فمنذ أربعة أعوام عندما اقدمتم على بناء السد العالى،خطوتم خطوتكم البطولية عن جدارة . كانت شعوب كثيرة من افريقيــا لا تزال ترضخ فى ظلام الاستعمار .

ان ينابيع النيل ــ أيها الأصدقاء ــ تجلب المياه العذبة من اعماق القارة السوداء التى كانت مستعمرة فى الماضى .

ولقد تغيرت الآن ، خريطة أفريقيا تغيرا جذريا ، لأن ٣٠ دولة افريقية قد احرزت استقلالها السياسى .

وانا انتهز هذه الفرصة الطيبة الكريمة ، واتوجه الى شعوب هذه البلاد فى افريقيا بعبارات التهانى فى حرارة واخلاص .
انه لرائع حقا ان شاطىء النيل العظيم يقطن عليه وحوله كثير من الدول التى تحررت من الاستعمار .

لكن الركائز لا تزال كثيرة فى الدول المتخلفة ، وموجودة فى هذه البلاد ، مثل القواعد الأجنبية ، والقوات العسكرية،وكذلك البنوك ، والشركات الاحتكارية الاجنبية ، والمبشرون الأجانب .
وكذلك يوجد جهاز ضخم للدعاية،كان من قبل تابعا للمستعمرين السابقين ، وهو اليوم تابع لركائز الاستعمار .

ان الشعوب الافريقية ، التى أقبلت على بناء الحياة الجديدة فيها . ســوف تقوم بتطهير أراضيها من هذه الركائز أعــوان الاستعمار وذلك لتأمين أسباب النهضة والتقدم الوطنى الحقيقى .

ولقد اعلنت الدول الافريقية فى مؤتمرها الذى انعقد فى اديس ابابا ان من أهم مبادىء سياستها مبدأ وحدة افريقيا فى نضـالها ضد الاستعمار وضد السيطرة الأجنبية .

ان وحدة الشعوب المناضلة من أجل حريتهـا ، ومن اجل استقلالها ومن أجل السلام العالمى ، ومن أجل التقدم الاجتماعى ، كل ذلك يعتبر عنصرا هاما لنجاح حركات التحرر فى العالم كله . كما انها عامل هام فى مستقبل افريقيا السعيد والامم كلها .

ان الاتحاد السوفييتى حكومة وشعبا يؤيد تأييـدا كاملا القرارات التى اتخذتموها — يا سيادة الرئيس — فى مؤتمر اديس أبابا .

أيها الاصدقاء الاعزاء اود فى ختام كلمتى ان اهنىء فى حرارة وصدق ، الرئيس جمال عبد الناصر المحترم ، المناضل الصلب ضد الاستعمار ، وضد الاستغلال الأجنبى .

واهنىء جميع أعضاء الحكومة فى الجمهورية العربية المتحدة الموجودين معنا اليوم ، فى هذا الوقت التاريخى . كذلك أحيى قادة الاتحاد العربى الاشتراكى وأبعث بتحية الى شعب جمهوريتكم بجميع فئاته وطوائفـه ، على انتصاراته العظيمة التى حققها ضـد السيطرة ، ومن أجل الاحتفاظ بثروته . أهنئكم على هذا الانتصار الذى حققتموه فى حجز مياه النيل ، واتمام المرحلة الأولى من السد العالى بأسوان . لذلك ، بعد هذه المرحلة من السد العالى ، ظهرت

الصورة واضحة التي تؤكد قرب اتمام هذا البناء الشامخ الكبير .
فلتكن اراضيكم ـــ ايها الأصدقاء ـــ مثمرة ويانعـة على الدوام
ولتعش هذه الأراضي مثمرة التي سوف يتم ريها بواسطة ميـاه
النيل الجديدة .

لتحيا وتزدهر الجمهورية العربية المتحدة حرة ومستقلة .

لتحيا الصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحـــاد
السوفييتي . ولتبقى الصداقة بين الشعبين العـربي والسوفييتي
صلبة صلابة صخور اسوان .

لتكن الصداقة بيننا كلنا في سبيل النجاح الجديد للشـعوب
المتطورة في الشرق العربي وفي افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .
عاش التضامن في العالم أجمع .

أيها الأصدقاء الأعزاء : في هذا اليوم التاريخي العظيم ، يوم
السيطرة على مياه نهر النيل ، ارجو من صـــديقي العزيز الرئيس
جمال عبد الناصر ان يقبل هدية تذكارية صنعها العمال المهـــرة
بمدينة « تولا » بايديهم في مصنع للاسلحة .

ثم هذه اللوحة التذكارية نقشت عليها صور مصر القديمـــة
والجديدة . صورة مصر القديمة عليها الاهرامات وصـــورة مصر
الحديثة عليها ذلك الصرح الكبير ذلك الصرح الجبار ، في عهدنا
الحديث ، عليها السد العالي في اسوان .

الفهـــرس

الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٦٥

ــص

الثمن ٢

١٩٦٤/٥/٢١